الدرس الثالث عشر: التمييز

تمهيد:

عندما تقول: (اشتريتُ رطلا...) –وهو نوع من الوزن- لم يفهم السامع ما تريده بالرطل، فهو لا يدري أبلحاً اشتريتَ أم سمناً أعسلاً أم سكراً، وذلك لأن الرطل اسم مبهم يصلح لأن تراد به هذه المعاني الكثيرة، ولكنك إذا قلت: (سكراً) زال الإبهام وفهم السامع مرادك تمام الفهم، لأنك ميّزت له الرطل وبيّنتَ له المقصود منه، ولذلك يسمى لفظ (سكرًا) تمييزاً، كما يُسمى الاسم المبهم وهو (رطلاً) مميَّزاً. ومثله: (أخذتُ قدحاً...) –وهو نوع من الكيل- نجد كلمة (قدح) غامضة مبهمة لا تعيين فيها، لاحتمال أن يكون القدح ماء أو عصيراً أو غيرهما، فإذا قلنا: (قدحاً ماءً) تعيّن المراد.

وهناك نوع آخر من غموض والإبهام يختلف عما سبق، ففي مثل (ازداد المتعلّم...) لا يقع الغموض على كلمة واحدة كالتي أسلفت، وإنما ينصبّ على الجملة كلها، أي: على معنى جزأيها الأساسين معا. فقد نسبنا الازدياد للمتعلّم؟ فأي ازدياد هذا الذي نسبناه؟ أهو في علمه أم في أدبه أم في ماله؟ فإذا قلنا: (ازداد المتعلّم أدباً) ارتفع الغموض عن النسبة واتضح المراد من الجملة بعد مجيء هذه الكلمة.

<u>تعريف التمييز</u>:

فالتمييز –إذن- هو اسم نكرة منصوب متضمّن معنى (من) لبيان ما قبله من إبهام ذات أو نسبة.

<u>نوعا التمييز</u>:

التمييز قسمان:

1- **تمييز الذات (تمييز المفرد)**: وهو الواقع بعد المقادير وشبهها، وبعد الأعداد وبعد ما هو فرع له. والمقادير هي المساحة نحو (زرعتُ فدّاناً شعيراً)، أو الكيل نحو (اشتريتُ صاعاً حنطةً)، أو الوزن نحو (اشتريتُ أقّةً عسلاً).

والقسم الآخر أن يقع على ما هو فرع له، وذلك نحو: (اشتريتُ خاتماً ذهباً)، فالخاتم فرع من الذهب، والذهب أصل له.

2- **تمييز الجملة (تمييز النسبة)**: وهو الذي يزيل الإبهام والغموض عن المعنى العام بين طرفي الجملة. أو: هو ما يبيّن إجمال نسبة شيء إلى شيء نحو (حسُن محمدٌ خلقاً)،

فـ(خلقاً) بيّن نسبة الحسن إلى محمد، فليس محمد مبهماً وإنما حُسن محمد هو المبهم من أي جهة هو؟ فميّز بالخُلُق.

وهو بحسب أصله نوعان:

1- تمييز محوّل عن الفاعل نحو (حسُن محمد خلقاً)، إذ أصل هذه الجملة: (حسُن خلقُ محمد). ومنه قوله تعالى: *(وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)، والتقدير: اشتعل شيبُ الرأس، فحوّل الفاعل إلى تمييز.*

2- تمييز محوّل عن المفعول نحو (أشعلتُ البيتَ ناراً) و (غرستُ الأرضَ شجراً)، فالتمييز في المثالين محوّل من المفعول، والأصل: أشعلتُ النارَ في البيت وغرستُ الشجرَ في الأرض، فحوّل المفعول إلى تمييز. ومنه قوله تعالى: (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا).

وقد يكون محوّلاً عن غيرهما، فقد يكون التمييز محوّلاً عن المبتدأ نحو (هو أغزر علماً منك) والأصل: علمه أغزر من علمك.

وقد يكون غيرَ محوّل نحو (ما أحسنَ محمداً فارساً) و(ما أكرمه رجلاً).

<u>الغرض من التحويل:</u>

*إنّ في العدول باللفظ عن الفاعل أو المفعول إلى التمييز فائدةً بلاغية تتمثّل في قصد الاتساع والشمول والمبالغة، وذلك أنك إذا قلتَ (فاحت الحديقةُ عطراً) معناه أن الحديقة امتلأت عطراً. وهذا خلافاً لو أنك قلت: (فاح عطرُ الحديقة) لأن معناه أن عطرا في الحديقة قد فاح. فالفرق في المعنى بين العبارتين واضح. وكذلك قوله تعالى: (*وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً) قالوا أصله اشتعل شيب الرأس، إلا أن هناك فرقاً في المعنى. فمعنى قولك: (اشتعل شيب الرأس) أن هناك شيباً في الرأس متفرقاً اشتعل، وأما قوله تعالى: (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً) فمعناه أن الرأس قد امتلأ بالشيب. وقد جاء في "شرح المفصّل" في تعليل نحو: طاب زيدٌ نفساً وتصبّب عرقاً وتفقّأ شحماً أنّه «لا يوصف "زيدٌ" بالطيب والتصبّب والتفقّؤ، فعُلِم بذلك أنّ المرادَ المجاز. وذلك أنّه في الحقيقة لشيء من سببه، وإنّما أُسنِد إليه مبالغةً وتأكيداً. ومعنى المبالغة أنّ الفعلَ كان مسنداً إلى جزء منه فصار مُسنداً إلى الجميع وهو أبلغُ في المعنى؛ والتأكيد أنّه لمّا كان يُفهم منه الإسنادُ إلى ما هو منتصب به ثم أُسنِد في اللفظ إلى زيد تمكّن المعنى. ثم لمّا احتمل أشياء كثيرة وهو أن تطيب نفسه بأن تنبسط ولا تنقبض وأن يطيب

لسانُه بأن يعذب كلامُه وأن يطيب قلبُه بأن يصفو انجلاؤه تبيّن المرادُ من ذلك بالنكرة التي هي فاعلٌ في المعنى فقيل طاب زيدٌ نفساً، وكذلك الباقي».

ثُمّ إنّ في هذا الاستعمال تفصيلاً بعد إجمال، إذ إسناد الطيب إلى زيد جُملةً يجعل نفسَ المخاطَب تتشوّق إلى معرفة جهة هذا الطيب وتفصيله. وقد جاء في "حاشية الصبان" أنّه «إنّما عُدِل عن هذا الأصل ليكون فيه إجمالٌ ثم تفصيل فيكون أوقعَ في النفس لأنّ الآتي بعد الطلب أعزُّ من المنساق بلا طلب».

<u>جواز جر التمييز بالإضافة</u>:

إذا كان التمييز دالا على المقادير جاز جرّ التمييز على أنه مضاف إليه، والمميّز هو المضاف نحو (عندي شبرُ أرضٍ، واشتريتُ قفيزَ برٍّ، وبعتُ مثقالَ ذهبٍ)، كما يجوز نصب كل ذلك على التمييز.

ويُشترط في ذلك ألا يُضاف الدال على المقدار إلى غير التمييز، فإن أضيف الدال على المقدار إلى غير التمييز وجب نصب التمييز أو جرّه بـ(من) نحو قوله تعالى: ﴿*فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا*)، فـ*(ذهباً) تمييز منصوب؛ لأن الدال على المقدار وهو (ملء) أضيف لغير التمييز.*

ويجوز جر التمييز بـ(من) إذا لم يكن فاعلاً في المعنى أو مفعولاً، ولا مميزا للعدد. فتقول: (عندي شبرٌ من أرضٍ، واشتريتُ قفيزاً من برٍّ)، ولا تقول: (طاب زيدٌ من نفسٍ).

<u>الفرق في المعنى بين نصب التمييز وجرّه</u>:

هل هناك فرق في المعنى بين قولك (عندي خاتمٌ ذهباً) وبين قولك (عندي خاتمُ ذهبٍ)؟

الجواب أنّ النصب يكون إيضاحاً بعد إبهام وهو أوقع في النفس. بيان ذلك أنك إذا نصبت يكون الكلام قد تم بكلمة (خاتم) المنوّنة، ثم جئتَ بعده بما يفسّر الخاتم. فكأنك أخبرتَ بخبرين: الأول: (عندي خاتم) حتى إذا انصرف الذهن عن الكلام وظن المخاطَب أنه تم، قلتَ (ذهباً)، بخلاف قولك: (عندي خاتمُ ذهبٍ) فإن الكلام جعلته سرداً واحداً فلم يتم بكلمة (خاتم) بل إن السامع ينتظر بقية الكلام.

فالتمييز في الأولى منتصب بعد تمام الكلام، وهذا يكون إذا أردت إبهام الأمر على السامع أولا ثم إيضاحه فيما بعد، إذا رأيتَ أن المقام يستدعي ذلك، كأن يكون الخاتم من نوع ثمين أو معدن نادر يستدعي الإبهام، أو هو عند شخص غير متوقع أن يكون عنده مثل هذا

الخاتم، أو غير ذلك من الملاحظ، فتبهم الأمر عليه ثم توضّحه له. وهذا المعنى غير موجود في الإضافة.

وقد يختلف المعنى بين النصب والجر من وجه آخر، وذلك نحو أن تقول: (هذا مقصٌّ حديدٍ) و(هذا مقصٌّ حديداً). فقولك: (هذا مقصٌّ حديدٍ) بالإضافة يحتمل أن المقص من حديد، ويحتمل أنه مقص للحديد أي يقص الحديد. كما تقول: (هذا منشارُ خشبٍ) أي ينشر الخشب مع أنه من حديد، بخلاف ما لو قلت: (هذا منشارٌ خشباً) فإنه يعني أنه من خشب.

<u>نماذج إعرابية</u>:

(اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً)

اشتعل: فعل ماض مبني عل الفتح الظاهر.

الرأس: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

شيباً: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

(هذا خاتمٌ ذهباً)

هذا: ها للتنبيه، ذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ.

خاتمٌ: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

ذهباً: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

(اشتريتُ قفيزَ برٍّ)

اشتريتُ: اشتري: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بتاء الفاعل. والتاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل.

قفيزَ: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو مضاف.

برٍّ: مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة.